كلمة آل الفقيد
ألقاها كل من: نجله الدكتور وائل .. وكريمته السيدة ألمى

الأستاذ الدكتور مروان المحاسني

الأستاذ الدكتور محمود السيد

الأساتذةُ الكرام أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق والأساتذة المحاضرون

السيدات والسادة.. الحضور الكريم

نشكر لكم جهودكم في إقامة حفل التأبين والتكريم للمرحوم الوالد الفاضل شحادة الخوري، وهو يصادف في الذكرى السنوية الأولى لوفاته.

إن سمحتم فسأشترك أنا وأختي ألمى في نقل صورة حية عن حياة الوالد، سأذكر أنا وَقَفاتٍ مميزةً في حياته الشخصية وتتحدث ألمى عن تأملات في حياته ومآثره.

يا لها من تجربةٍ فريدة أن ينشأ الإنسانُ وينمو في عالم يُختصَرُ فيه الزمان والمكان، ومحيطٍ تمتزج فيه اللغة والحِكمة، ومدرسةٍ تُعلَّمُ فيها الأخلاق والوطنية.. هذه كانت حياتنا مع الأب الفاضل.

يختصر الزمانُ والمكانُ حين تعيشُ تفاصيل التاريخ العربي يتسلسل أمامك بدءًا من قهوة الصباح وتتسامر ليلاً بقصص الأنبياء والأديان وأبطال التاريخ، ثم تستيقظ مجددًا على قصائد الشعر العربي الخالد.

ويتتالى هذا المسلسل أشهرًا وسنواتٍ دون أن تتكرر تلك القصص إلا بطلب من الأولاد والأحفاد، حين تَخذُلُهم ذاكرتُهم المتواضعة أمام ذاكرته الوقادة والآنية.. كان يحفظ الأزمان والأحداث وكأنها مخزونة في حاسوب فكره الرقمي.

وتتعشق اللغةَ العربيةَ حين تعيشُ جَمالها في الصباح، وزخمها في المساء ونوادرها ليلاً، لا بل كانت هوايته المفضلة في الجلسات الاجتماعية أن يسأل الضيوف إنشاد الأشعار وفك ألغاز الإعراب.

اللغة العربية كانت حاضرة معنا على الدوام. يناقش عظمتها عبر التاريخ، دورها الرائد في العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية، ومُرونَتها في التطور والاقتباس وخلق المصطلحات الجديدة لِتُماشِيَ وتقودَ ركب التطور الحضاري في كافة العلوم.

هذا كان مُلهِمَهُ وهذا كان هدفَه، وهذا ما عَمِل له ليجدد اللغة العربية الحديثة لتبقى حيةً، مرنةً، معاصرةً ورائدةً أمام تحديات التطور العلمي الحديث ولتواكب النهضة العربية الحديثة، بل تقودها.

العربيةُ والعروبة كانتا ملاذَه ومصيره وهويةَ وجوده. الوطن والوطنية كانا أهله ورفاقه وشعبه، كينونته ومعنى حياته.

تتنشق الحكمة حين تعيش معه في أنقى مُثِلها وأرفع قيمها.. حين يمتزج التاريخ بالسياسة والدين بالمجتمع وتتزاحم الأفكار وتتضارب المواقف، تبقى حِكمتهُ على نقائها الفكري وثوابتها الخالدة.

تَرَبَّت على يديه الفاضلتين أجيالٌ من التلاميذ والأساتذة، أصدقاءُ وغرباء، أبناءٌ وأحفادٌ في سورية الحبيبة وفي أصقاع العالم العربي.. نهلوا منه الأخلاق الحميدة والوطنية المطلقة وبقي منارة لهم في حياتهم وعملهم.. كان دؤوبًا في قراءته وكتابته.. أنجز (٢٤) كتابًا وعشرات المقالات والدراسات، وكان أحزن ما في مسيرته أن خذلتهُ قواه البصرية مؤخرًا كي يتابع طريقه في القراءة والتأليف.

عِشناهُ في سنوات عمرنا يلوِّن كل عِقدٍ من حياته لونًا خاصًا في مهمة إنسانية أو إدارية أو فكرية يعطيها كل ما لديه من نشاط وجهدٍ.

جال في العالم العربي مبشرًا بالعربية والتعريب، رافعًا راية النهضة اللغوية. فمنهم من استجاب واندفع في طريقها ومنهم من تجاهلها ويا للأسف.. وفي كافة مراحل عمله كان خلاقًا ومؤسسًا.

فعندما بدأ التدريس الثانوي لم يعجبه كتاب التاريخ فألف واحدًا ودَرَّسه. وكتابه الأول حول المرأة كان من أوائل الصيحات لتحرير المرأة ودَفَعهُ للمشاركة في تأسيس اتحاد الكتاب العرب.

وعندما عَمِل في وزارة الشؤون الاجتماعية، طوَّر ونشر صناعة السجاد الوطني وافتتح أول مخزن له في دمشق.

وعندما عَمِل في وزارة الشؤون الاجتماعية، أسس مركزَ التأليف والتعريب وفي عهده ترجمت المراجع المعتمدة في الطب وسواه.

وعندما عمل في المنظمة العربية للثقافة والعلوم، أسس مراكزَ للتعريب في سورية والكثير من الدول العربية.

ثم أسس اتحاد المترجمين العرب وترأسه عدة سنوات إلى أن خذله عمره، وتوَّج عمله في عضوية مجمع اللغة العربية في سورية.. وذلك كان فخرًا عظيمًا له.

وفي جميع مراحل عمله كان يجمع بين متطلبات العمل وقراءته وتأليفه، لم يكترث لأي نشاط آخر اجتماعي أو رياضي أو أيًّا كان إن لم يكن له بُعدٌ ثقافي أو فكري.

عطفه على العائلة كان من أجمل بصمات حياته.. مفرط المحبة، رقيق المشاعر، مرهف الحساسية، يعبر عن مواقفه برفق وحنان..

وما كان يؤلمه شيء أكثر مما حصل في سورية، كانت عيناه تدمعُ كالأطفال عند مشاهدة المعاناة والدمار، غير مصدق لما يحصُل كأنه كابوس مريع، وهو يتذكر

شبابه في نضاله للاستقلال ومناهضة الاحتلال ومآسي الحروب التي فرضت على المنطقة خلال تاريخها الحديث.

صيدنايا كانت دائمة في قلبه، مصدر إلهامه في شموخها وعراقتها ومنارة له في صمودها وشهامة أهلها، رمزًا للتآخي والمحبة.

تنشَّق هواءها عند ولادته ونام تحت قمرها طفلًا على سطح المنزل وضَمَّهُ ترابها عند وفاته.

وليس ما يثلج صدورَنا ويرأب آلام البعد الجغرافي بيننا سوى ما وهبه لأحفاده من محبةٍ وإلهام والتزامٍ بمحبة سورية واللغة العربية.

ابننا شادي بدأ يكتب الشعر في عمر مُبَكِّر، ثم درس العربية في دمشق وألهمه انغماس الوالد في قضية التعريب وعضويته في مجمع اللغة العربية، فأمضى ستة أعوام من عمره في دراسة مرحلة النهضة والسنوات الأولى لتأسيس المجمع، قرأ عشرات الكتب من مصدرها الأصلي ومنها مجلات المجمع الأولى وكلَّل جهدَهُ بأطروحة الدكتوراه بدرجة امتياز من جامعة جورج واشنطن.

وابنتنا رَنا درست العربية في دمشق أيضًا وألفت كتابًا وهي في عمر الـ٢٧ عامًا عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في ولاية أوهايو خلال مرحلة الأزمة الاقتصادية الأخيرة، وقد حاز الكتاب المركزَ الثالثَ في حقله، في كافة الولايات المتحدة الأميركية.

وابنتنا ليلى أخذت منحى الفن والنحت، وهي في عمر الـ ٢٢ عامًا صنعت تمثالًا برونزيًا للشاعر الكبير نزار قباني حبًا منها لشعره والتزامه، وأقامت العديد من المعارض لتعرض الحزن والألم لما حل بسورية وشعبها. وابنتنا هلا درست الحقوق وتجيد العربية وتدرسها لأولادها.

كلنا يعمل في نطاقه للمحافظة على الالتزام بالثقافة واللغة العربية وتقديس سورية وشعبها على مدى الحياة.

وكان من ثمارها إنشائي للحديقة الثقافية السورية في مدينة كليفلاند التي لا مثيل لها في العالم. وفيها يقف بشموخٍ قوس النصر التدمري وفن التخطيط العربي ونافورة قصر العظم وتمثال نزار قباني، إضافةً إلى تدوين التاريخ الحضاري والثقافي لسورية بمراحلِه وروادِه وأَلَقِه، كلها محفورة على أعمدة غرانيت خالدة.

والدي الحبيب

كلماتنا وكلمات أحفادك متماثلة: شكرٌ عميقٌ وعرفانٌ كبيرٌ...كنت لنا ولهم المعلم الأكبر، الملهم الأعظم، الصديق العزيز والأب والجَدَّ المحب، ولا بد هنا من ذكر ما قَدَّمتْهُ الوالدة الفاضلة نهى العرموني خلال العقود العديدة للوالد وللعائلة أجمعها من محبة وإدارة وحكمة.

أختنا العزيزة ألمى نهجت هي وعائلتها على خُطا الوالد وكانت له الصديقة والتلميذة وأولادها نشؤوا على إلهامه وقدوته.

وخطف القدرَ أختنا الغالية لِيْنة في العام الماضي، وهي التي سارت على طريقه في التدريس والتأليف وكانت له خير راعية وسند ويتمم أولادُها رسالتَها.

باسمي واسم زوجتي سوسن هلال والوالدة والعائلة بأسرها، نتقدم لكم ولكافة الأصدقاء والأحباء بالشكر والعرفان، لما لمسناه منكم من محبةٍ وتقديرٍ للوالد، وسلوانٍ لعائلته وأهله.

راجين أن تكون ذكراه خالدة في القلوب والعقول، لتتابع الأجيال القادمة مسيرته الرائدة.. **وأترك الحديث لأختي ألمى.. وشكرًا.**

أيهـا الجمع الكريم

تخذلني الكلمات، تتسابق في ذهني الأفكار وتتسارع الذكريات، ولا أعرف مـن أين أو كيف أبدأ .. أأتكلم عن أبي أو معلمي أو صديقي؟ وأتعثر من جديد لأنـه كـان كل هؤلاء في نفس الوقت والزمن، منذ الطفولة حتى آخر يوم من حياته عرفتـه طيبًـا، مرحًا، صاحب حكمـة وبصـيرة ثـاقبتين.. عرفتـه صـادقًا يعـرف مـا يريـد، لا يسـاوم بأخلاقياته، أمينًا لمُثُلِهِ منذ بداية حياتـه، صـلب الإرادة، رقيـق العواطـف، كـريم اليـد والنفس، لطيف اللسان، عرفته عطوفًا، محبًّا، مناصرًا للضعيف، داعيًا للحق منذ ابتدأ برمي الحجارة على جنود الاحتلال ليرحلوا عن بلدته ووطنه، إلى أن تعلـم الحقـوق ليدافع عن المظلوم، إلى ريادته في كسب حقوق المرأة فـي العلـم والثقافـة والعمـل والقرار، شاهرًا سلاحه دومًا للدفاع عن اللغة والمجتمع والوطن والأمة، دؤوبًا مثابرًا على واجباته وطموحاته، لا يهمه الوصول إلى نهاية الهدف وتحقيق النجاح فحسب، بل تهمه الرحلة في الطريق والمتعة باجتياز المصاعب. بحُبه وهدوئه شـجعّنا لنعطـي من ذاتنا كما هو أعطى بلا حساب.. كان لنا الصديق الكبيـر، لـم يسـتعمل معنـا يومًـا سلطة الأب، بل كان دومًا وأمي معنا أصدقاءَ على طاولة الحوار.. ليس ذلك فحسب بل صادَقَ أولادنا وعلَّمهم محبة الأسـرة واللغـة والـوطن واحتـرام الـذات والآخَـر، حاورهم، أخذ منهم وأعطاهم.. أعطاهم بسخاء وكـان لهـم القـدوة والمثـل الأعلـى والمرجع والركن الظليل.. لم يبخل يومًا بوقته على أسـرته أو بإيجابيتـه التـي تشـكل محور حياته وترى النور دومًا حتى في الظلام.

قِمَّةٌ في التواضع هو، طلبنا منه قبل خمسة أعوام أن يلقي كلمة في عرس حفيـده سامر فوقف أمام الجمع وقـال: «مـن شـيم العـرب أن يفخـر الفـرد بأهلـه وأجـداده،

لكني عزمت اليوم أن أقول بكل صدق أني سأقلب المعيار وأفتخر بأولادي وأحفادي» فصفق الجميع لهذه الهامة العالية المتواضعة والمفعمة بالحب..

كان يرى نفسه جزءًا من كُل، نقطةً صغيرةً في عالم الإنسانية الفسيح، لا يحدُّ خياله أو فكره الزمان ولا المكان.. موسوعةٌ متحركة هو، يسبح في بحار المعرفة ويحلّق في فضاء الفكر رافضًا التوقف.

لا يُحاضر بل يحاور.. نراقبه فنتعلم منه.. ينقلك بحديثه الساحر من محطة لأخرى، فتحلّق معه وتتجول من محطات التاريخ إلى الآداب والثقافة، ثم الشعر والحب، ومن تطور الحضارات إلى جدلية الأديان والمعتقدات ثم تتوقف معه عند قصة حلوة لفنان أو كاتب أو نبيّ.

إنه رسام مبدع، ريشته الكلمة ولوحته حكايات الإنسان والشعوب والحضارات يرويها بشفافية الفنان ويحللها بفكر الباحث ويخط الرؤى لمستقبل أفضل كأديب وقائد.. كل ذلك وأنت تراقب ابتسامة هادئة تطفو على وجهه المنير تمنحكَ السكينة وسط زحْمةِ الأحداث.

فخورون جدًّا نحن بك يا أبي، أَغنَيْتَنا حين علَّمتنا أن نعامل الآخر كما نريده أن يعاملنا، وغالبًا ما كنت تقول: إذا خُيِّرتُ أن أكون ذات يوم ظالمًا أو مظلومًا فسأختار أن أكون مظلومًا كي أنامَ مرتاح الضمير.

علمتنا أن المتعة والقيمة تكمنان في العمل الدؤوب في سبيل المعرفة والإنسان الذي رأيته أنتَ مقدّسًا في هذه الحياة كما الأسرة والمجتمع واللغة والوطن.. الوطن بقضاياه التي سهرتَ لياليَ طويلةً تدافع عنها.. أما اللغة العربية التي كانت محور حياتك المركزي، فقد التحمتَ رافعًا إياها إلى أرفع المستويات لتُجاري بقية العلوم واللغات كي تبقى شامخة، في الطليعة، تترأس القمم.

إليكَ يا أبي.. وإلى روحك الطاهرة التي أُحِسُّها تحضر بيننا اليوم في هـذا المكـان الذي طالما أحببت.. وإلى روح ابنتك الحبيبة وأختنا الغالية لِيْنة التي رافقـت مسـيرتك بإعجاب.. وحَذَت حَذْوَكَ في العطاء والنزاهة والمُثُل العليا والعمل الـدؤوب المخلـص.. وإلـى الوالـدة الحبيبـة أطـال الله عمرهـا.. نعلـن أنـا وزوجـي الـدكتور خليـل كركـر وأولادنا شكرَنا وعهدَنا على أن نَحمِلَ الأمانة بأمانة ودون انقطاع.